رواية مفقودة لألبرتو مورافيا الروائي يحاول إكمال تلوين لوحته

ميشيل مكدونالد

ترجمة: مصطفى ناصر

«في أعمال كل كاتب ، مهما كان الجهد الذي يبذله لتفادي ذلك»، صرح البرتو مورافيا ذات مرة لمجلة باريس ريفيو ، «سوف تجد أمورا تتكرر. إنني انظر الى الرواية ، أي رواية بعينها مثلا، وكذلك الى المنجز الإجمالي للكاتب ، على انه شيء يشبه التأليف الموسيقي تمثل فيه الشخصيات أفكارا او موضوعات مكررة ، تتباين في اختلافها مثلما يتنوع اللحن في شدته من درجة لأخرى سعيا الى اكتمال المقطوعة الموسيقية بصورتها النهائية ، وعلى نحو مماثل بالنسبة للمضامين ذاتها التي يتناولها العمل». ان الفكرة القائلة، بان ليس لدى الروائي الا بضع بصائر جوهرية يعيد استنباطها ويضع لها أطرا بطرائق وصف وضع الإنسان في أدب مورافيا بكلمة واحدة «النفور» سواء كان داخليا او خارجيا ، وضع مقزز يدعو للامتعاض المستديم وغير قابل لان يفر منه احد، تنقل ذلك العناوين الصارخة لرواياته «اللامبالي» ، «العنيدة»، «الملتزم»، «الاحتقار» ... كانت أعماله تتألف من سلسلة من التنويعات التي تجرى على آلاف الأساليب والتي من خلالها يجرد الإنسان الحديث نفسه والآخرين من الإنسانية ، ويعبر عن ذلك تسجيل مستمر للعواطف مختلف الدرجات لكنه متماثل في جوهره ، معبرا فيه عن مشاعر اللامبالاة ، الرفض ، الإذعان ، الضجر. أما فكرة الصداقة فتمثل نغمة متنافرة بشكل بارز وسط كل هذا السيل من الترانيم الجنائزية. لكن عنوان الرواية الأخيرة قد اختاره المحرر سيمون كاسيني - انها الملاحظة الوحيدة التي يمكن ان تثار بشأن عمل كان سيغدو رائعا في إعادة الحياة لرواية كانت في سبيلها للاندثار وعن مراجعته النقدية وتقديمه لهذا العمل المهم - كان من المستحيل ان نتخيل موافيا يستخلص جوهر هذه الحكاية ذات الأجواء القاتمة معبرا عنها في عنوان يحتمل تفسيرات ثانوية في أهميتها، بغض النظر عن كل ما في الرواية من تهكم وسخرية من التماسك والروح الاجتماعية ومظاهرها الزائفة.

في هذه الرواية مثلما الحال مع اغلب روايات مورافيا، تدور الوقائع في روما، متزامنة مع حدث نهاية كوارث الحرب العالمية الثانية مباشرة، حيث الشخصية الرئيسة فيها رجل يكافح للتغلب على حالة تختلف قليلا من عمل لآخر ربما لا تكون صائبة او انها لا تطبق بالضرورة على كل كاتب ، لكنها يمكن ان تكون فكرة صحيحة حتما قدر تعلق الأمر بمورافيا. يأتي هذا الرأي المؤكد خاصة بعد نشر كتاب للروائي بعد وفاته وهي رواية مفقودة بعنوان (الصديقان) I due amici كان قد تركها المؤلف ولم يكمل انجازها ، ولو كانت قد أكملت لأصبحت الرواية التاسعة عشر ضمن مجمل أعمال الكاتب الايطالي .

لقد تخصص مورافيا في توليف نغمات قداس موت الإنسانية التقليدية، كانت موضوعاته الأساسية تتمثل في تقلص وضع الإنسان بحيث صار فيه سلعة للبيع، وما يترافق مع هذا الوضع من معاناة سيكولوجية نتيجة لذلك. يمكن الإرباك التي يعاني منها سواء في داخله او بسبب العلاقة مع المجتمع الايطالي بصورة عامة. وكعادة المؤلف تتركز الحبكة على فساد مشاعر الحب والجنس بسبب المال والسياسة مثلما نرى ذلك مستخلصا في مزيج غريب من الأفكار الفرويدية والماركسية من ابتكار مورافيا تحديدا. ان سيرجيو مالتيس الذي يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما هو مفكر ماركسي يعمل صحفيا بمرتب لا يكاد يسد رمقه. يلتقي بالفتاة نيلا ويقيم معها علاقة غرامية ، هي امرأة من الطبقات المسحوقة تصغره بثلاث سنوات. تبدو علاقتهما تلقائية ونقية ومع ذلك فان مثل تلك السعادة التي يشعران بها مثلما يتضح من مجريات الأمور تعكرها على الدوام الطبيعة المضجرة لحالة الفقر التي يمران بها وعدم رضا سيرجيو المستمر عن حياته.

يرهق بطل مورافيا الكلاسيكي غير البطولي سيرجيو إحساس بعقدة النقص التي يعاني منها وبتفكيره الفلسفي المعمق لدرجة مملة بإخفاقاته. في بداية القصة تعتري البطل هواجس تتعلق بانتمائه الفج للحزب الشيوعي ، تلك العضوية التي كان يأمل من ورائها ان يضع نهاية لظروفه المليئة بالكروب. لكنه بدلا من ذلك يجد ان لا شيء يتغير وانه يبقى على وتيرة واحدة غير قادر على تبرير أفعاله مثل السابق. والاسوء من ذلك ان تعلقه بأذيال السياسة يسبب له شعورا متناميا بالامتعاض يزحف رويدا نحو علاقته مع نيلا ، والتي تكون غير قادرة على الفهم ، دع عنك مشاركته في تطلعه الى مجتمع غير طبقي وهي التي تقتات فقط على المتعة الحسية. يقدم مورافيا ضمن هذا الوضع غير المستقر شخصية ثالثة، موريزيو وهو رجل برجوازي عجوز من أصدقاء سيرجيو. كان شخصا طويل القامة وسيم الطلعة غنيا وواثقا من نفسه، كذلك فهو يعتنق أفكارا سياسية رجعية، وبرغم انه قد تخلص من أوهام العظمة بعد سقوط الفاشية وانهزام ايطاليا في الحرب، الا انه ما زال قادرا على ان يصف لسيرجيو، من دون أدنى اثر للإحراج كيف كان معجبا ليس بموسوليني بكل بساطة ، وإنما بهتلر ايضا. بما انه كان على النقيض من سيرجيو تماما ، فليس من المستغرب ان يرى فيه سيرجيو شخصية كريهة ، التجسيد التام للطبقة السياسية الراقية التي قادت ايطاليا الى الدمار والضياع وبددت سبل ارتقاء الشيوعية الى سدة السلطة. الا ان سيرجيو في الوقت ذاته كان منجذبا لموريزيو لعدة أسباب تبقى غامضة.

كل ذلك يؤدي الى اللحظة الحاسمة في الرواية حينما يفكر سيرجيو بخطة لاستمالة موريزيو للشيوعية. لو انه يتمكن فقط من جعل إرادته تنتصر على إرادة خصمه، وبهذا يضمن ولاء موريزيو الروحي للحزب، وربما سيشكل هذا العمل الحافز الذي يغير مجرى حياته ويجعل وجوده ذا قيمة. لكن بينما يعترف موريزيو بقوة حجة جدليات سيرجيو، علاوة على إفلاس قيم طبقته هو ، الا انه يرفض التحول استنادا الى مبادئ عقلية ليس الا؛ فهو يطلب شيئا اكثر: ان يسمح له سيرجيو باستغلال علاقته مع نيلا بدناءة.

بعيدا عن ان يشعر بالرفض ومقاومة الفكرة ، نجد سيرجيو يفكر بها مليا. في واقع الأمر يغدو منتشيا بها لدرجة تبعث في نفسه شعورا داخليا بالتفوق على خصمه - الآن وقد اكتشف أخيرا «الورقة الرابحة» التي ستمكنه من التغلب على موريزيو - بحيث يفشل في معرفة السبب الذي يجعل موريزيو ، ذلك الرجل الذي تتساقط النساء الجميلات بين يديه ، متلهفا لإقامة علاقة مع نيلا.

لكن بعد ان تقبل فكرة التضحية بنيلا من حيث المبدأ وجد ان تطبيقها مسألة مختلفة ، خاصة بالنسبة لشخص سلبي متشكك بذاته مثله. تمر الأيام ولا شيء يتغير. ويستمر سيرجيو ونيلا في المعاناة من أوقات عصيبة تجعل النهايات غامضة. تصبح حياتهما معا في تلك الشقة القذرة بشكل متزايد عرضة للخلافات وغير محتملة. نتيجة لذلك يشعر سيرجيو بأنه مضطر لاقتراض المال سرا من موريزيو ، وتلك فعلة لا تجعله عرضة للإذلال أمام خصمه القديم فحسب لكنها تجعله يحتقر نيلا اكثر فأكثر. لكن هل تسمح له نيلا بان يستغلها بتلك الطريقة؟ وهل كان موريزيو جادا أصلا بشان إقامة علاقة معها؟ أو كانت لديه دوافعه الخفية من وراء استغلال وضع سيرجيو وقناعاته الفكرية التي يتبجح بها كثيرا ووضعه في مثل هذا المأزق المهين؟

كان مورافيا قد بدأ بكتابة هذه الرواية نهاية ١٩٥٠ ، مباشرة بعد إنهاء رواية (الملتزم) ، ويبدو انه كان ينوي من وراء قصة سيرجيو مالتيس ان يطرح المقابل السياسي لذلك البطل مارسيلو كليريسي في رواية الملتزم. في تلك الرواية ، كان مورافيا قد حاول تقديم عرض فلسفي للأصول الحسية للالتزام السياسي اليميني، «النزعة الفاشية»، مثلما يصف ذلك ر. و. ب. لويس، «التي تمتد بجذورها الى شرخ الشذوذ الجنسي». في رواية (الصديقان)، يستعرض مورافيا الأصول الفلسفية للالتزام السياسي اليميني من خلال مشاعر الشعور بالنقص، واستعداد للاستغلال الآخرين كوسيلة لتحقيق غايات اكبر، ربما لتحقيق شذوذها الكامن. يكون مورافيا في افضل حالاته كروائي عندما يخضع افتراضاته النظرية على نحو صارم للتفحص ويستخدم مهارته السردية بأوسع مدى. ولكن للأسف لم تكن الحالة هكذا دائما، سواء فيما يتعلق برواية الملتزم او هذه القصة.

لكن للإنصاف نقول ان نثر مورافيا كان ناصعا ودقيقا شأنه على الدوام. كان قادرا على بث الحياة الحيوية في أوصال سيرجيو، نيلا، وموريزيو ببضع لمسات فنية بارعة. وينجح كذلك في خلق مشهداً لا ينسى حينما يحضر سيرجيو ونيلا حفلة في منزل موريزيو. كان ذلك مشهدا هزليا غريبا ومقلقا من الناحية السيكولوجية ، يعرض حقيقة الرأي الذي عبرت عنه نيكولا شيارمونتي بان ليس هناك مثيل لمورافيا في «الإمساك باللحظات التي تبدأ فيها الحقيقة، التي تخترق الجدران الضبابية للزيف، بإثبات وجودها المؤثر. لكن بعيدا عن هذا المشهد، يترك القارئ على الأغلب برفقة تأملات تأتي بأسلوب شبيه بالمقالات وجدل سياسي يبعث الضجر، جدل مكثف لا يهدأ يعمل على تبديد وضوح الرؤية التي تكتسبها الشخصيات.

من يقرا هذه الرواية يحتاج إلى ان يكون واعيا بان ما قام المحرر كاسيني بتجميعه وتقديمه للقراء لكونه رواية لمورافيا تصدر بعد موته ليس مخطوطة واحدة لم ينتهي المؤلف من كتابتها ، لكنها في الواقع كانت عبارة عن ثلاث صياغات للقصة نفسها ، كل واحدة منها تصل الى نحو مئة صفحة. لكن هنا بالذات يكمن جزء من جاذبية الكتاب. في مجلة مقابلة أجرتها مجلة باريس ريفيو، كان مورافيا ينتقل بالاستعارات من الموسيقى الى الرسم عندما يناقش طريقته في الكتابة. «كل كتاب ينبغي ان تعاد صياغته عدة مرات مثلما يحصل مثلا مع الرسامين منذ قرون، كنت انتقل من طبقة لونية الى اخرى. لقد بدت لي النسخة الأولى غير ناضجة تقريبا.. برغم ان الشكل بالنسبة لي كان واضح المعالم حتى في ذلك الوقت. كنت أعيد كتابة الفصول عدة مرات - أضع الكثير من الطبقات اللونية - كلما شعرت بضرورة ذلك». لقد اتبع مورافيا منهجا في تمزيق كل المسودات الأولية لرواياته حينما تكتمل بشكلها نهائيا. لكنه هنا ، ولأنه كان منشغلا وقتها بالانتقال الى منزل اخر، فقد وضع رزمة أوراق روايته هذه في حقيبة تركت في مخزن لكنها لم تكتشف الا مؤخرا ، حيث تمكننا ان نرى مورافيا وهو يعمل ، يضع طبقات الألوان الواحدة بعد الأخرى على لوحته.

في المسودة الأولى ، نجد صفحات تمهيدية مطولة تتجلى فيها خلفية سيرجيو مالتيس وهي تلملم الكثير من التفاصيل عن سيرته ، تفاصيل مستمدة على الأغلب من حياة مورافيا الخاصة. في المسودة الثانية هناك شبه رواية قصيرة اكثر اكتمالا بصيغة الشخص الغائب. بعد ذلك تأتي النسخة النهائية ، والتي يتبنى فيها مورافيا تحولا أسلوبيا معمقا من الشخص الغائب الى المتكلم - وهي من خصائص كل أعماله القصصية الناضجة.

كانت رواية (الملتزم) قد واجهت هجوما عنيفا شنه النقاد عندما ظهرت في عام ١٩٥١، ولا بد ان يكون مورافيا قد لاحظ بان الوضع الأدبي في ايطاليا الذي كانت تهيمن عليه فكرة الشيوعية سيغدو اكثر استعدادا لعدم التسامح مع رواية اخرى مثل (الصديقان). مثلما اعترف لاحقا لصديقه المقرب اينزو سيليانو، فان الاستقبال المأساوي الذي لاقته (الملتزم) قد زعزع ثقته بقدرته على كتابة روايات ذات صبغة سياسية تتطرق الى ظروف تاريخية ملموسة، هذا بلا شك كان قد قاده أخيرا إلى ان يصرف النظر عن إكمال مشروع روايته. من هنا دأب مورافيا لاحقا على تكريس مهارته في تصوير القصة ذات الطابع الشخصي الفردي والوصف المعمق لشخصيات كانت حياتهم من وجهة نظره قد تعرضت للتشويه خلال السنوات التي أمضتها ايطاليا منتعشة تحت ظلال رأسمالياتها الجديدة.

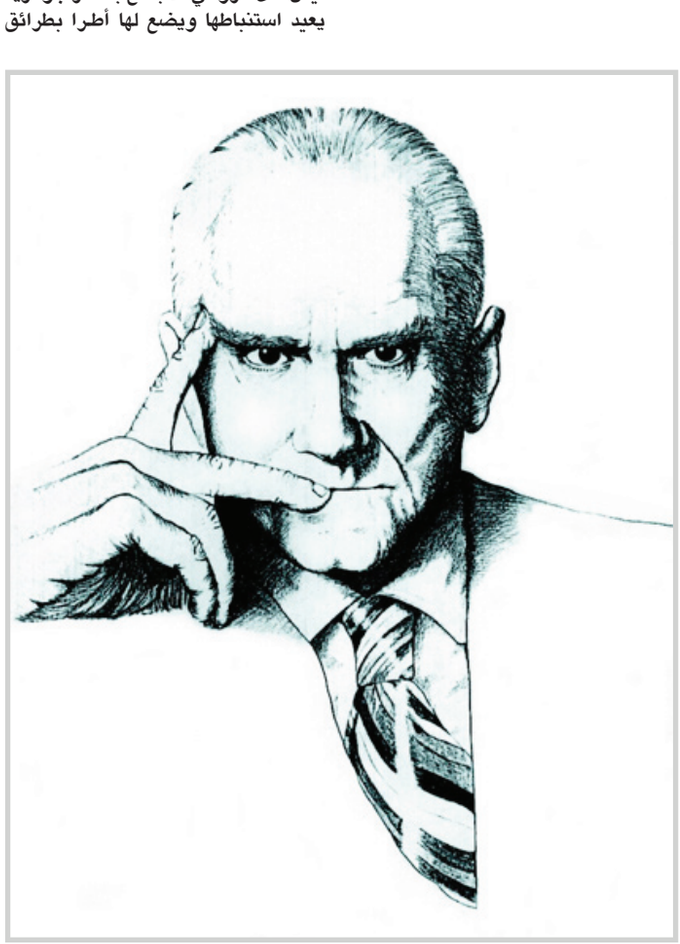

البرتو مورافيا

لماذا ينتحر الادباء؟!

محمد سعدون السباهي

في القاهرة، وعن جامعة عين شمس كان قد صدر كتاب، ادباء منتحرون وهو، رسالة دكتوراه للطالب مكرم شاكر اسكندر. الكتاب عبارة عن دراسة نفسية لبعض الادباء المنتحرين، وذلك من خلال تناول أعمالهم الروائية بالدراسة والتحليل.

اتخذ المعد من مفهوم فرويد للتحليل النفسي منهجاً عاماً، غير انه كما رأى اخذ ايضاً عن كل من العالمين النفسيين: ادلر، ويونج بعضاً من مفاهيمهما، كلما رأى ان البحث لا يشذ كثيراً عن منهجه الاساس.

البحث في مجمله دراسة السلوك التدميري الذي يقدم فيه المرء على تدمير ذاته، والذي اقدم عليه اديبان من اكبر أدباء القرن العشرين هما: الانجليزية فرجيينيا وولف، والأمريكي ارنست همنغواي.

استعان المعد في تشخيص الحالات الصرعية والهستيرية التي كانت تنتاب الكاتبة فرجيينيا وولف ١٨٨٢-١٩٤١ التي تقول فيها دائرة المعارف البريطانية: (انها مؤلفة أسهمت مساهمة اصيلة ومبدعة في شكل الرواية المعاصرة، واحد اكثر النقاد شهرة في زمانه.) تلك الحالات التي افضت بها في النهاية الى الانتحار حيث (انسلت صباح يوم جمعة خارج المنزل الى شاطئ النهر القريب، وهناك تركت عصاها على الشاطئ، وحشرت حجراً ثقيلاً في جيب معطفها، وسعت الى حتفها..).

استعان المعد بجملة من الدراسات المبهرة التي كتبها بحقها كمبدعة عدد كبير من النقاد، وخصوصاً رواياتها: الى الفنار وبكتاب من جزئين كان قد وضعه ابن شقيقتها، عن سيرتها الخاصة، وهذا الكتاب فيه ما فيه من الاسرار الخاصة لفرجيينيا المرأة،مالا يمكن تصديقه!.

اما همنغواي ١٨٩٩-١٩٦١ والذي هو كما تصفه دائرة المعارف البريطانية ايضاً: (روائي، وكاتب قصة قصيرة، حصل على جائزة نوبل للاداب عام ١٩٥٤، يكتب باسلوب مفعم بالفحولة والحيوية والانبساطية، ينم عن احساس جمالي بالغ الرقة.) فيستعين المعد بدراسات معمقة لثلاثة من ابرز اعماله الروائية: وداعاً للسلاح، لمن تقرع الاجراس، والشيخ والبحر..

حيث تجمع الدراسات، في جوانبها التطبيقية المتعلقة بالتحليل النفسي، للشخصيات الرئيسة، ان همنغواي على الرغم مما هو معروف عنه في حياته كمغامر بملابس مراسل حربي، وملاكم ومصارع ثيران، وزير نساء-تزوج اربع مرات- الا ان اساس هذا الهوس في الحياة، هو عينه اساس الاكتئاب والسويداء عند المنطوين على انفسهم، وذلك ان الانغماس في ملذات الحياة، وجه صريح من وجوه التخلص من اكتئاب مر، وسويداء، رهيبة، على حد مفهوم العالم: لاجاش..

ويخلص المعد، بعد جهد استقرائي واضح غطى مئتي صفحة، الى القول وفي اعمال الكاتبين موضعي البحث يظهر ادماج الحبيب ثم قتله مع قتل الذات واضح جلي،وهو امر لا يأتي مصادفة، بل ان ذلك تعبيراً بنائياً واضحاً كل الوضوح لواقع نفسي مسيطر، تعبير عن عوامل عميقة لاشعورية، تكونت في مرحلة مبكرة من حياة الاديبين!!

ملاحظة ضافية لمن يعنيهم الامر

ضم الكتاب فصلاً مسهباً عن موضوعة: الادب والتحليل النفسي، ولأهمية الموضوع كما ارى وددت التوقف عنده، ولو باقتصاد شديد: يستعرض المعد مجموعة من الدراسات النظرية والميدانية، لمجموعة من علماء النفس، والاجتماع والفلسفة، وجراحي الجملة العصبية امثال: هندرسون،وسوسكنز، ونيكاندا، وفارمر، وليفي، وتشوكيت، وبايكل، وجنكنز، واخرين، اشتغلوا باخلاص كل في حقل تخصصه، عن ماسموها(معضلة) الفن وغموضها المحير، فجاء اكثر من تعريف ماتع ومثير ومحير حقاً، للفنان المبدع من خلال تناول اعماله وفق مفهوم التحليل النفسي، فمنهم من يرى: (ان الاعمال الفنية معبر اساس عن حياة الفنان اللاشعورية، بما فيها من ذكريات مكبوتة تنحدر الى عهد الطفولة) وآخر يرى(ان العمل الفني هو ضرب من الاعتراف الذي يريد الفنان عن طريقه ان ينفس عن رغباته المكبوتة، وكأنما هو يقوم بعملية التطهير التي تحدث عنها قديماً ارسطو).

وان تحليل اثراً ادبياً ما(قادر على ان يوضح لنا الاسباب التي دفعت الاديب الى طرق موضوعات محددة من دون غيرها، والى اختيار بعض الصور والتشبيهات من دون غيرها، والى صياغة اسلوبه بشكل خاص) والفن كما يرى (بودوان): كالحلم من حيث انه يخضع لتأثير الميول الجنسية، والرغبات المحرمة التي تلزم الفرد بأن يختار واحد من اثنين: اما الصراع مع العالم الاجتماعي او التوازن الباطني..

اما العالم (دراكوليدس) فيضع الفنان في حالة الحالم، وحالة العصابي وان الحالات الثلاث ليست سوى الهروب من الواقع والعودة الى العالم الخيالي، مع فارق جوهري واحد، وهو ان الحالم يعود الى الواقع حين يستيقظ، وان الفنان يعود الى الواقع بالخلق، وان العصابي هو الوحيد الذي يستمر على الانحباس في حلم عالمه الخيالي المغلق..

ومن خلال هذه المفاهيم وغيرها تقدم لنا مجموعة من المعلومات القيمة، والمثيرة عن الحياة الخفية لبتهوفن، دافنشي، بلزاك، شكسبير، دستوفيسكي، ستاندال، جيته، يائيل دايان، ستيفان زفايج، ومالارميه، وغيرهم!

ولان الامر كذلك اذ جمعوا على ان الفنان الخلاق- الروائي، الشاعر، القاص، الموسيقي، الرسام- ليس مخلوقاً عاديا يبدع اعماله الفنية عن قصد وتفكير وروية، بقدر ما هو اداة في يد قوة عليا لاشعورية هي (اللاشعور الجمعي) وتبعاً لذلك فأن عمل الفنان لابد ان يشبع الحاجة الروحية للمجتمع الذي يعيش في كنفه، بمعنى انه لابد ان يضطلع بمهمة اعادة التوازن النفسي الى الحقبة التاريخية التي ينتسب اليها، وسواء شعر الفنان بذلك ام لم يشعر فأن عمله الفني لابد من ان يعني في نظره شيئاً اكثر مما تعنيه حياته الشخصية او مصيره الفردي، انه الايقاع الأصلي الذي يفرض نفسه على الوجود البشري باسره، ويصبح في مقدوره ان ينقل مشاعره وآلامه وأماله الى الجنس البشري باكمله! باعتباره (كائناً غير بشري) في اكثر من جانبٍ من جوانب جوهره.

عموماً، اسوق هذا الكلام الى العاملين في حقل الابداع، ليقرأوا الكتاب، ويطلعوا على المكانة السامية التي خلعها عليهم اساطين الفكر، ليزدادوا سمواً روحياً على سموهم الذي يحاول انصاف المتعلمين ان يشككوا فيه، وفي السياق نفسه ادعو المتعصبين، خصوصاً السياسين منهم الذين ينظرون الى الفن على انه لعب صبياني لافائدة منه، ولاخير يرتجى للانسانية من ورائه ان يقرأوا الكتاب-ايوجد بين السياسين والمسيسين واحد يقرأ مثل هذه الكتب ويهضمها؟ يقرأوه باسترخاء وشفافية بعيداً عن عقد:(انا القائد!) (انا ظل الله على الارض) (انا وكل ماعداي، حقل بصل).

حيث الحقيقة تقول المبدع هو القائد، وهو ظل الله على الارض، وهو الاول وكل ماعداه يأتي في المراتب اللاحقة.

الحنين إلى كوبا

ترجمة: إيمان قاسم ذيبان

بعد مرور ثلاثين عاماً من ترك الخدمة في الشرطة الكوبية، أصبح ماريو غوند (بطل الرواية الأخيرة للكاتب الكوبي ليوناردو بادورا) قارئاً نهماً لمختلف أنواع الكتب فهو يشتريها تارةً ويبيعها تارةً أخرى ويحتفظ بنسخ نادرة من الأعمال القديمة، وسرعان ما لازمت هذه الهواية شخصيته التي طالما حلمتْ بمزاولة الكتابة، لقد أختار غوند هذه المهنة بالذات لأنهُ كان سريع البديهة منذ سنَ المراهقة، حيث تعلم أنواع الأدب الكوبي المتواري نتيجةً لولادة اتجاهات فنية جديدة أو نزعات سياسية حادة.

وتجددتْ هذه الرغبة لديه لاسيما بعدما عثر، وعن طريق الصدفة على مكتبة بقيتْ غير معروفة طوال ثلاثة وأربعين عاماً، إلاّ أن فطرته الميالة للولع بشراء الكتب النفيسة اصطدمت معَ مصالحه الاقتصادية.

ولكونه شرطياً قديماً ولتعامله بغاية اللطف مع الموظفين، لم تكن لديه مشكلة في تسلم الأعمال التي مثلتْ جزءاً من ثروات كوبا وتاريخها ولابد من إعادتها إلى المكتبة الوطنية لا لجهة أخرى.

وجد غوند ضمن هذه الأعمال وتحديداً بين صفحات كُتيب لإعداد الطعام، قصاقصة من صحيفة تتحدث عن وداع مرير ومليء بالكبرياء يتمحورُ حول مغنية للبولِ ليرو(١) تدعى فيوليتا ديل ريو التي لم يذكرها أحدٌ تقريباً لكنها أثارتْ في نفسه شيئاً غامضاً وشعوراً لم يعرف ماهيتهُ.

لذا، قررَ البحث عنها ليكتشف في النهاية لماذا أتخذ هذا القرار. هكذا بدأ ماريو غوند تحقيقهُ في خمسينيات القرن العشرين لولعه بالعصر الذهبي لكوبا، العصر الذي استمرتْ فيهِ هافانا بأحتضان ستين ناد وخمسين مقهىً ليلياً لدرجة ان الليل يبدأ في الساعة السادسة مساءاً ولا ينتهي حتى الصباح. غيرَ ان بحثهُ لم يُفدْ بشيء. حاول مراراً ان يفهم حقيقة هذه المغنية التي لم تسجل سوى شريطاً واحداً ابرزهُ اغنيتين الأولى (اتركني) والثانية (هل تتذكرني؟) ولماذا اختفتْ من دون ترك أي أثر يُذكر.

وبعدما أجتاز أحداث العصر الذهبي،اقحمتهُ عودة الماضي إلى الأحياء البائسة لبلاده وإلى التعرف على رواد الموسيقى الشعبية فضلاً عن المتخصصين بتاريخها.

ببضع كلمات ، وعلى غرار راشيل هاميت ورايموند شاندلر ، تعلم الكاتب بادورا كيف يتحكم بشخصياته الثانوية على سبيل المثال الحدث الناتج عن الإهتمام بطريقة الشكل المنحني الذي يتمكن الإنسان بوساطته من الجلوس. أو الإهتمام بوصف شخصية الشرطي القديم الذي أصبح سائقاً لسيارة الأجرة ثم بائعاً للسكائر أو شخصية مقاول لمعارض الرسم أو مصمماً للمشاريع الصناعية وأخيراً تاجراً للكتب. لقد وصف بادورا كل شيء تماماً وكأنهُ يصف الحي الصيني القديم وفقرهُ المستشري لاسيما الحي الذي يُعرف بـ (الفيدادو) أو ما أسماه الكاتب بـ (الإنسانية المضناة). لهذا الأسلوب يُعد ماريو غوند الوريث الشرعي لأبطال الروايات السابقة امثال الكاتب فيليب مارلو وسام سبادو أوليو هاربر حيث الولع بالمدخنين وشاربي الكحول وهواة النساء والشخصيات الأخرى.

يرى العديد من النقاد بأن رواية بادورا تتعلق بالنقد الإجتماعي وان كانت تأخذ في بعض الأحيان منحناً بوليسياً.

شيئاً فشيئاً وبعيداً عن مغامراته السابقة، وجد غوند حبهُ الضائع لدى الفتاة العربية (تمارا) كما شعر بشيء من الراحة بصحبة أصدقائه وزملائه القدامى. ولن ينسى بأن البحث الذي بدأ بهِ ترك فراغاً في قلبهِ ونزعة للحنين إلى الماضي لمواجهة تغيرات الحياة المعاصرة.

ومن المهم القول بأن الرواية أخذتْ فضلاً عن الفكرة بُعداً آخر: فهناك حبكتان أتاحتا للكاتب إقحام قارئه بأحداث ما قبل الثورة وتحديداً في نهاية عهد الدكتاتور (باتيستا) حيث وصل الفساد الإداري والمالي إلى ذروته. وعندما استنفذ أعضاء العصابات الأمريكية والأعيان ثروات كوبا ليزجوا بها في سيل من العنف والبؤس والفاقة لينتهي المطاف بأرساء قواعد النظام الكاسترو. هكذا بقيتْ النظرة الكوبية منفصلة وهادئة وضائعة في سحابات الأمس على أمل ان لا يرون مثيلاتها اليوم.

ليوناردو بادورا

صدر للطابع

دليل المخرجين المسرحيين

عن دار الأرقم للطباعة صدر للناقد والباحث عامر صباح المرزوك كتاب دليل المخرجين المسرحيين وهو جهد توثيقي الأول من نوعه يتضمن مسحا للمخرجين المسرحيين في بابل.

ارض جديدة

يتحدث ايكارت توللي في كتابه ارض جديدة الصادرعن دار بنغوين عن التحولات الشخصية في الإنسان التي ستنقله الى عالم مختلف، وعن اهتماماته التي تنسيه التضخم المستمر لغروره.

من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟

يحاول هذا الكتاب للمفكر الراحل د. عبّد الوهاب المسيري، الصادر عن دار الشروق في القاهرة القاء الضوء إمكانات تأسيس دولة يهودية من دون تعريف الهوية اليهودية، ومن دون التوصل الى تعريف من هو اليهودي.

الشرق الاوسط تحولات ستراتيجية

في هذا الكتاب للمؤلف احمد خفاجة والصادر عن دار الفارابي معالجة للمتغيرات الستراتيجية والتكتيكية، ومحطات تقنية وسيناريوهات حربية ومعلومات ومعاني وتحليلات، تحتاج الى اهل الخبرة لفك رموزها ودراستها.

خطة عمل إستراتيجية لعملية التغيير الاجتماعي

أصدرت الدائرة الإعلامية في مجلس النواب العراقي كتاباً جديداً تحت عنوان (خطة عمل سترتيجية لعملية التغير الاجتماعي، اعدته لجنة المرأة والأسرة والطفولة في المجلس).وقد حوى الكتاب فصولاً في المنطلقات الأساسية للتغيير واستحقاقاته وخطة العمل في عملية التغيير الاجتماعي في مجال الأسرة.